



التعليم بالعقوبة،

تعليمٌ خاصٌّ بالعبيد، لا بالأبناء

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٠

صدق المتنبي، الشاعر المعروف، إذ قال:

لا تشترَّ العبدَ إلَّا والعَصَا معه *** إنَّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

ورغم أن المتنبي كان يقصد كافور الإخشيدي الذي رحل ورحل معه حكم المماليك تمامًا بعد مذبح القلعة التي دبرها محمد علي - كانت ولا تزال عبارة عمرو بن العاص: "مصر لمن يحكمها"، إلى أن جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ بأول مصري يحكم مصر بعد فراعنة مصر؛ الرئيس جمال عبد الناصر.

التخوين والعصا

بعد عبد الناصر الذي استعمل العصا ضد معارضيه، لم تفارق هذه العصا أجواء الكنيسة. هذه العصا ليست بالطبع هي "عصا الرعاية" والتي هي في معناها الأصيل عصا الراعي، بل هي عصا التخويف بالعقوبة والنار وجهنم، بالرغم من احتفالنا بنزول الرب يسوع إلى الجحيم يوم السبت الكبير، والذي تؤكد فيه الكنيسة على زوال الجحيم تمامًا، وبالتالي طرحه خارج وعي كل من يؤمن حقًا بالمسيح.

ولكن، لأن صورة عبد الناصر، صورة الرجل "الحمش" لا تزال قابعة في عقول طالبي الزعامة، لذلك نجد هؤلاء يرفعون بكل قسوة عصا "التعليم عن العقوبة". وقد بحثت عن كلمة العقوبة في العهد الجديد بثلاث لغات؛ القبطية واليونانية والعربية، فلم أجدها. كما بحثت عن هذه الكلمة في الليتورجيات، فلم أجدها، ولكنني وجدتُ نهرًا من استعلانات الغفران. ولا تعني عبارة القديس الغريغوري: "أنت الذي حوّلت لي العقوبة

خلاصًا"، إلا أن ما حدث في الفردوس مع آدم الأول قد صار خلاصًا لكل البشرية. والنص القبطي اليوناني لهذه العبارة يجب ترجمته إلى "الحكم"، لا العقوبة، لأن موت المسيح لم يكن عقوبةً للمسيح. ونحن في القداس الإلهي لسنا عبيدًا، بل أبناء دُعينا إلى وليمة الرب يسوع.

العقوبة والتأديب

العقوبة حسب أسفار العهد القديم مفروضة لتعدّي الوصايا والخروج على العهد. وكانت تمس المكونات الخاصة بحياة الإنسان: الهزيمة في الحروب - الأسر - ضياع الحصاد - الأمراض - الموت.

أما في العهد الجديد، فلدينا مقطع كامل يحدد لنا ما هو التأديب، حيث كتب الرسول عن المسيح ربنا:

"نَاطِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ،

الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ

احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْحَزْبِ،

فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ."

هذا هو يسوع الذي لم تذكر عنه الأسفار إن الآب عاقبه على خطايا البشر. وبعد أن قدّم لنا الرسول المثال، يقول:

"فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ

لِئَلَّا تَكَلُّوا وَتَخْجُرُوا فِي نَفُوسِكُمْ."

فما هو المطلوب؟

"لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدَ حَتَّى الدِّمِّ (الموت) مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الخَطِيئَةِ،

وَقَدْ نَسِيتُمْ الوَعظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَثِيرِينَ:

«يَا ابْنِي لَا تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلَا تَحْزُرْ إِذَا وَجَّحَكَ.

لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ".

ملاحظات على النص اليوناني:

١- كلمة تأديب $\pi\alpha\delta\epsilon\iota\alpha$ تعني التعليم والتصحيح والتقويم، لا العقوبة، فكلمة العقوبة غائبة عن النص.

٢- يجلد للتقويم، لأن "الذي يحبه الرب"، فليس من انتقامٍ أو تشفيٍّ في "الجلد".

يعود الرسول ليقول:

"إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمْ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟".

٣- الله يؤدب "الأجل المنفعة، لكي نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ" (عب ١٢: ٢ -

(١٠).

وعندما يغيب التعليم عن "الشركة في قداسة الله"، ويحل محله التعليم بالغضب المطلق الذي لا يصدر عن الله المحب، بل الإله الغاضب القاسي، لأننا إذا جمعنا "يحبه الرب"، مع "نشترك في قداسته"، نجد أن ذلك يرفع عن الله القسوة والانتقام ولذة العقاب التي تنمو فينا نحن البشر (راجع العظة ٢٩ على الرسالة إلى العبرانيين للقديس يوحنا ذهبي الفم).

التراتيل الملوثة بالثقافة غير الكتابية

من التراتيل المكتوبة باللغة الإنجليزية:

"في المسيح وحده

رجائي أجده

هو نوري

خلاصي

تسبحتي".

ولكن رغم جمال الكلمات التي تجيء بعد ذلك عن حلول ملء اللاهوت في الطفل الصغير، إلا أنها بعد هذا الجمال تلوث ما سبق، إذ تقول:

"الغضب قد رضي (نال ما يريد)".

وهكذا من هذا المثال، الذي ينطبق على معظم هذه النوعية من التراتيل، إن لم نقل كلها، نجد أنها تجمعها خصائص معينة:

١- تبدأ بالانفصال دون أن تذكره، مثل ترتيبه: "قد قضى ديني كله الحمل".

٢- أو تصف الرحمة وأحياناً المحبة، وتترك الشركة، التي ليست مجرد شركة، بل شركة في القداسة (عب ١٢: ١٠)، وشركة في الآب وفي ابنه يسوع المسيح (١ يو ١ - ٣)، فهي شركة في الحياة التي أظهرت لنا في يسوع، وليست مجرد شركة في فكرة.

تألهُ خطير

مَن يتكلم باسم الله، يأخذ مكان الله. هناك فرق بين أن نقدم تعليم الأسفار حسب الأسفار، وأي تعليم صادر منا نحن باسم الله. ولا يجب أن نفقد الوعي بأن نعمة التبني هي نعمة أبدية لا تقوى الخطية على نزعها أو تدميرها، ولا يمكن أن تُفقد بالمرّة.

ليرحمنا الله